باليهود عبر التاريخ ، خاصة في العصر الحديث لدرجة ان الموالين للصهيونية يعتبرون ان النازية وفرت لهم بعد الحرب العالمية الثانية حجة أدبية لا يستطيع العالم غير اليهودي رفضها او ردها . فكل « مصيبة » حلت باليهود هي سلاح دعائي في يد الصهيونية واسرائيل وهو السلاح الذي شرعته للقول بأن قيام « اسرائيل » هو الحل الوحيد والصحيح للمشكلة اليهودية وتمكنت الصهيونية واسرائيل من تثبيت هذا الادعاء عالميا وانطلقت منه لتقول ان هذا الحل مهدد باستمرار وقابل للضياع . لماذا ؟ بسبب العداء العربي ، بسبب التعصب الديني والعنصري ، وهو التعصب الذي يدفع بأصحابه الى التصميم على القاء « اليهود » المعذبين والمضطهدين والمستضعفين و .. الخ الى البحر . وتضيف الدعاية الصهيونية تكملة لدائرة الاستعداء ضد العرب فتقول : ان هؤلاء العرب لديهم أرض شاسعة وواسعة تتسع لملايين أخرى من السكان بينما اسرائيل مجرد نقطة على الخريطة العربية ولكنها نقطة متقدمة والعرب المتخلفون لا يريدون ان يروا دولة متقدمة والهمج لا يريدون دولة متحضرة والكسالى لا يريدون دولة نشيطة ، والجهلة لا يريدون دولة تكون منارة للعلم والحضارة ... لذلك يريدون التخلص منها بالقاء سكانها ، « اليهود » في البحر .

اذن فتعبير أن العرب يريدون القاء اليهود في البحر هو نقطة مركزية وقضية محورية في مضمون الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية . انه يكاد يلخص جوهر الموقف الصهيوني بالكامل . القاء اليهود في البحر : تلخيص مركز لكل التشويه الذي تريد اسرائيل ان تلخصه بصورة الانسان العربي والطابع القومي العربي بصفة عامة وبحقيقة موقف العرب تجاه « اليهود » من حيث هم يهود .

لهذا كله كان اهتمام الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية والامبريالية عشية العدوان (بترديد هذه العبارة) لانها عبارة « مرجعية » تثير معان كامنة كثيرة ، اشارتها لا تتطلب اكثر من ذكر هذا القول . فقد قيل ان راديو بون — حسب رواية أحد الاصدقاء الذين كانوا في المانيا الغربية في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ — استخدم هذه العبارة ٣٥ مرة في اليوم الاول من ١٩٦٧ في معرض متابعته وتغطيته لاحداث هذا اليوم . فهل هذا حقا هو موقف الانسان العربي تجاه « اليهود » ؟

في الاجابة على هذا السؤال نحاول العودة قليلا الى الوراء ، الى التاريخ القريب فلسنا في حاجة الى الحديث عن المعاملة التي لقيها « اليهود » في ظل الدولة الاسلامية ، ولا موقف العرب ، مسلمين ومسيحيين ، تجاه « اليهود » كأصحاب رسالة سماوية . نقطة بدايتنا هي المرحلة التي تنبه فيها العرب على خطورة « المشروع الصهيوني » عن اقامة دولة يهودية في فلسطين او وطن قومي لليهود كما سمي في البداية .

« لهم ما لنا وعليهم ما علينا »

كان رد الفعل العربي — في فلسطين وغيرها من الاقطار العربية — تجاه « وعد بلفور » ، وضد المخطط الصهيوني رد فعل وطنيا وقوميا ، ولم يكن بأي حال رد فعل عنصريا او دينيا . وعكس العرب بذلك تراثا طويلا في التسامح بين الاديان ، كما عبروا عن احد المبادىء التي ارسلتها الحركة القومية العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر ، مبدأ « الدين لله والوطن للجميع »(٥). لذلك لم يقاوم العرب هذا الوعد لانه وعد ممنوح « لليهود » كأتباع دين سماوي معين ، وانما قاوموه لانه اعتداء على حقوقهم في التحرر والاستقلال وتقرير المصير . ورد الفعل هذا لم يكن ليختلف كثيرا لو ان الوعد منح لمسلمين او مسيحيين من مواطني اية دولة اخرى، يأتون ليقتلعوا سكان البلاد منها ، كيف لا وقد ثار العرب ضد « الخليفة » المسلم ، وضد الاتراك المسلمين ؟

وقد تنبه العرب — رغم حنقهم ضد «الخليفة» بريطانيا التي نقضت عهودها معهم ورغم انزعاجهم من المشروع الصهيوني — الى التفرقة بين « اليهود » كأصحاب دين ، وبين الصهاينة كدعاة عاملين على « اقامة الوطن المسمى باليهودي » ، ومن ثم فرقوا بوضوح بين « اليهود » من ابناء البلاد ، وبين الصهاينة المهاجرين . وعبر زعماء العرب في فلسطين عن موقفهم هذا في مناسبات عديدة ، كما عبرت عنه اجهزتهم الرسمية والشعبية المختلفة سواء في داخل فلسطين او خارجها .

واذا كان العرب قد نادوا وتنادوا بعد الحرب العالمية الاولى الى منع الهجرة « اليهودية » (= الصهيونية) الى فلسطين ، فان هناك حقيقة تاريخية لا بد من ذكرها في هذا المجال ، وهي